ملامح التناص القرآني ودلالات توظيفه في مدائح الشيخ جابر الكاظمي

Features of Qur’anic intertextuality and the implications of its use in praises of Sheikh Jaber Al-Kadhimi

Ghofran Jabbar Shamkhi Jaber
assistant teacher
University of Baghdad - College of Education, Ibn Rushd

غفران جبار شمخي جابر
مدرس مساعد
جامعة بغداد- كلية التربية ابن رشد

gofran.j@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

الكلمات المفتاحية: التناص، الاليات، النص القرآني، المفردة

Keywords: Intertextuality, mechanisms, Quranic text, vocabulary

الملخص

يشعر قارئ اشعار الشيخ جابر الكاظمي بحضور شاعرية فذة تتخللها وجود مواضع امتصاص ومسافات اجترار تتنوع في طبيعتها ومصادرها تلك التي تجترها من موارد ثقافية متعددة فتنفتح نصوصه الشعرية على مضمرات دلالية وإيحاءات استدلالية ورموز تعالقية. عُدَّ النص القرآني واحداً من أبرز تلك المناهل الثقافية الحاضرة في روحها والمسموع جُرسها فتستحوذ أصداؤها الرنانة على مساحات واسعة من ديوانه وفي هذا النوع من التعالق تتجلى المتفاعلات النصية في ديوان الشاعرعبر الإشارة إلى مفردات دينية لها بُعد تأريخي أو إشارات إلى بعض الوقائع والقصص أو الممارسات الدينية بما يمنح النص ثراء وروعة؛لأن استحضار الخطاب القرآني في النصوص الأدبية يضفي عليها تميزاً لدلالاتها انطلاقاً من مصداقية الخطاب القرآني وقداسته وإعجازه وهذا ما يشكل علاقة ترابط نصي واعٍ بين النص المبدع والقرآن الكريم .

الكشف عن هذه الآليات هو ما تهدف الدراسة إلى تجليته عبر الاعتماد على التناص كآلية اشتغال منهجي وظفتها الدراسة في ثلاثة مباحث .

Abstract

The reader of Sheikh Jaber Al-Kadhimi’s poetry feels the presence of a unique poeticism that is interspersed with the presence of places of absorption and spaces of rumination that vary in nature and sources that ruminate from multiple cultural resources, so his poetic texts open up to semantic contents, inferential suggestions, and relational symbols. The Qur’anic text is considered one of the most prominent cultural sources that are present in its spirit and whose bell is audible, so its resonant echoes occupy large areas of his collection. In this type of interrelation, the textual interactions are evident in the poet’s collection through reference to religious vocabulary that has a historical dimension or references to some facts, stories, or religious practices, including It gives the text richness and splendor, because evoking the Qur’anic discourse in literary texts gives it distinction for its connotations based on the credibility, sanctity, and miraculous nature of the Qur’anic discourse, and this constitutes a conscious textual connection between the creative text and the Holy Qur’an.

Revealing these mechanisms is what the study aims to clarify by relying on intertextuality as a methodological mechanism employed by the study in three sections.

المقدمة

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم والثناء على ما قدم فعلم الإنسان ما لم يعلم وميزه على سائرِ خلقهِ والصلاة والسلام على نبينا المبعوث محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين خير من جاء بمعجزة القرآن الكريم الذي ضم أروع الأساليب البيانية وأجل الخصائص البلاغية التي سيطرت على الملكات الأدبية واجتذبتها .

إنَّ السعي إلى إيجاد مناهج جديدة وثرة وتوظيفها في دراسة النص الأدبي بغية الكشف عن دلالاتهِ ومضمراتهِ مبتغى يسعى له النقاد والباحثون على اختلاف مشاربهم وتعدد آرائهم، وفي هذا الوقت الذي غمرت فيه المناهج النقدية الساحة الأدبية الحداثية رسى على شاطئ الثقافة العربية مصطلح (التناص) الذي ولد وترعرع في أحضان المدرسة النقدية الغربية ووفد إلى النقد العربي المعاصر مع جملة ما وفد عبر التواصل الثقافي والحضاري.

فالتناص كآلية اشتغال نقدية طرحها عصر ما بعد الحداثة شغلت الكثير من جهود الباحثين والمنظرين وأصحاب شعرية الخطاب غربيين كانوا أم شرقيين حتى أصبح مفهوماً مركزياً تجول في مداراتهِ الأبحاث والدراسات التطبيقية كما أصبح آلية اشتغال مركزية نقدية وحقلاً مهماً من حقول النقد الأدبي البليغة الفائدة وأداة من أدوات تحليل الخطاب ذات الأهمية الفائقة فقد شغلت قضية تفاعل النصوص وانفتاحها على بعضها البعض الدارسين المحدثين حتى أصبحت ظاهرة ملحوظة في أغلب المفاهيم والمناهج الجديدة التي شقت طريقها إلى البلاد العربية عبر المؤلفات المترجمة.

تقوم آليات التناص وبشكل عام على استحضار نصوص غائبة سابقة في النص الحاضر لدواع فنية أو أسلوبية أو معنوية، وقد عُدَّ التناص الديني لاسيما القرآني منه من أبرز الاشتغالات التناصية فقد شكل الكتاب القرآني المقدس مصدراً إلهامياً ومحوراً دلالياً وأفقاً نورانياً فكرياً لكثير من المعاني والمضامين التي استوحاها الشعراء على مر العصور فقد عُدَّ ظاهرة تتفرد بها الثقافة العربية، وتتمحور أهميته في كون النص القرآني نصاً قادراً على إسعاف ذاكرة الشاعر بسيل من المعاني والدلالات الجديدة ودعمها بالرؤى والمنظورات المتعددة ومن هنا كان استدعاء الشاعر واستلهامهِ لآيات القران الكريم وألفاظه وقصصه وأحداثه وشخصياته ومعانيه أحد السبل والأسباب في أبداعِ نظم شعري خصب منفتح على أفاق مشرقة مكتنزة برؤى متعددة لذا كان الميل إلى الاتكاء على التناص القرآني ليس عملية امتصاص للنص المقدس فحسب وإنما هو عملية تفجير لدلالات مضمرة كامنة في بنياتهِ يستدل عليها شاعر بعد آخر كل حسب موقفه الشعوري ومخزونه الثقافي.

في هذا النوع من التناص تتجلى المتفاعلات النصية عبر الإشارة إلى مفردات دينية لها بُعد تأريخي أو آيات ومقتطفات مأخوذة من القرآن الكريم أو إشارات إلى بعض الوقائع والقصص القرآني أو بعض الممارسات الدينية أو بعض الشعائر(١) بما يمنح النص ثراء وروعة؛ لأن استحضار الخطاب الديني القرآني في النصوص الأدبية يضفي عليها مصداقية وتميزاً لدلالاتها انطلاقاً من مصداقية الخطاب القرآني وقداسته وإعجازه وهذا ما يشكل علاقة ترابط نصي واعٍ بين النص المبدع والقرآن(٢) فلا شك أن ظاهرة التعالق النصي مع القرآن الكريم تُعد في مقدمة الأنواع؛ نظراً للمكانة التي يتبؤوها القران الكريم فقد عمد الشاعر الكاظمي إلى تضمين ألفاظه ومعانيه ودلالته وقصصه مما عزز من شعرية قصائده ذلك لأن التناص مع القرآن الكريم شعرياً يمثل هدفاً أدبياً جمالياً فهو يغني الصياغة الأدبية ويكسبها جمالاً ورونقاً فضلاً عن ذلك أن التفاعل مع القرآن الكريم يعمل على تحفيز الذاكرة النصية للمتلقي في استنباط المعاني والدلالات الجديدة التي أضفاها هذا التفاعل في النص الشعري المتناص مع آيات القرآن كل ذلك عبر إعادة قراءة النصوص القرآنية بوعي جديد والبحث عن أوجه التماثل والتضاد وآليات التوظيف إلى ما يشكل مجمل الوظيفة التناصية(٣)

ومن هنا نجد أن هدف التناص القرآني يتمثل في منح العمل الأدبي ثقلاً أدبياً، ويستعمل بشكليه الظاهر والضمني في الأعمال الأدبية والغرض منه تجميل الأسلوب بالاسلوب القرآني واتخاذ العبر وبيان المقاصد الدينية والاعتقادية والسياسية(٤) .

---

(١) ينظر: انفتاح النص الروائي: النص والسياق: سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠١: ١٠٧ .

(٢) ينظر: التناص مع القرآن الكريم في الشعر العربي المعاصر: عزة محمد جدوع، مجلة فكر وإبداع، ع١٣، ٢٠٠٢: ١٣٤.

(٣) ينظر: بنية النص الكبرى: صبحي الطعان، مجلة عالم الفكر، ع١-٢، الكويت،١٩٩٤: ٤٤٦-٤٤٩.

(٤) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: عزة الشبل، تقديم وتحقيق: سليمان العطار، مكتبة الآداب، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٩: ٧٧.

وظفت الدراسة آليات التناص في ثلاثة مباحث توزعت بين مبحث أول يتناول: التناص اللفظي ويتم الاستدال عليه عبر آليات استدعاء المفردة القرآنية أو جزء من آية قرآنية، ومبحث ثانٍ: يتناول التناص اللفظي غير مباشر، ومبحث ثالث: يتناول تناص القصة أوالشخصية القرآنية في شعر الشيخ جابر الكاظمي وقد ركز هذا النوع من التناص على دراسة القصص القرآنية التي استحضرها الشاعر في قصائده لخلق رموز جديدة تضفي على نصه الشعري قوة الاقناع والتأثير في ذات المتلقي، ثم خاتمة لخصت مجمل النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

المبحث الأول

التناص اللفظي المباشر

ويقصد بهذا النوع من التناص استحضار مفردة أو مجموعة من المفردات أو جزء من أية قرآنية وقد تكون آية كاملة وتضمينها للنص الشعري إما عن طريق الاكتفاء بنقلها بهيئتها التي وردت فيها كما هي أو بأجراء تغيير طفيف عليها لا يمس جوهرها؛ نظراً لقداسة النص القرآني وخصوصيته الدينية، لكن مما ينبغي الإشارة إليه أن التناص في هذا الموضع يكون بنقل المفردة القرآنية بهيئتها وليس بالفكرة الرئيسة التي يحملها معناها أو المعنى العام الذي تدور حوله فضلاً عن أن:(رصد التناص في المفردة القرآنية يحتاج إلى حذر وتنبيه؛ لأن الاعتماد على المفردة القرآنية وحدها لا يمكن أن يقود إلى رصد التداخل بالمفردات؛ لأن المفردات دون التراكيب لا يختص بها أحد دون أخر وإنما تأتي الخصوصية من دخول المفردة في تركيب أولاً ثم دخول التركيب في سياق ثانياً)(١) إلا أن هذا الحذر لا يمنع من تسليط الضوء على جملة المفردات القرآنية التي استعان بها الشيخ جابر الكاظمي(رحمه الله) في نظمه الشعري وتعبيره الشعوري المدائحي فلا يخفى على القارئ المتصفح لديوانه الشعري كثرة التعالقات اللفظية والنصية التي يمكن أن تلحظ فيه مع القرآن الكريم وبروز مرجعيته الدينية وعقيدته الإسلامية عبر تناصاته تلك.

فقد تضمنت أشعار الشيخ جابر الكاظمي(رحمه الله) حشداً كبيراً من المفردات ذات البعد الديني التي تميزت بقداستها القرآنية والتي قام الشاعر بامتصاص دلالتها تلك لتضمينها لخطابه الشعري وبالتالي إكسابه قيمة فنية خاصة ذات تأثير عميق في نفس المتلقي بعد منحه إياه رؤاه الخاصة إذ أنه وبالنظر (لكثرة تعامل الشعراء مع القرآن الكريم تلاوة ودراسة وتدبراً فقد رست في ذاكرتهم ألفاظٌ قرآنية تكررت في القرآن مراراً فدارت في أشعارهم كثيراً لارتباطها بحياتهم من حيث التعبير عن مكنوناتهم والافصاح عن مشاعرهم)(٢) فقد كان هذا التوجه

---

(١) ينظر: أثر القرآن في الشعر الفلسطيني الحديث: جمال فلاح النوافعة، اطروحة دكتوراه، اشراف: سامح الرواشدة، جامعة مؤتة،٢٠٠٨: ٩٠.

(٢) ينظر: أثر القرآن في الشعر الجزائري: محمد ناصر بوحجام، المطبعة العربية، ط١، المغرب، ١٩٩٢: ١٣٤.

لدى الشاعر توجهاً واعياً ومقصوداً ولم يكن رهين الصدفة خاصة بعد أن تلمسنا أنه لا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من هذا التناص الذي يلحظ في أكثر من موضع في الديوان، يقول(١):

وغفوراً مدَّت لمغفرةِ منـ ـه يديـها عبيدُه والإماء

فالصورة المدحية في هذا البيت واضحة الدلالة كافية الإشارة عن فيض مغفرة المولى(عز وجل) وحدود اتساعها والتي لم يغفل بها عن أحد، عبر الشاعر عن هذا الدلالة ومدى اشتمالها باستحضاره لأربع مفردات قرآنية هي (غفوراً، مغفرةٍ ،عبيدهُ، والإماء) كانت كفيلة باشعار القارئ بحجم هذه المغفرة وحدودها اللامتناهية تلك التي عبر عنها مرتين مرة بذكر أسم (الغفور) وهو أحد أسماء الله الحسنى والذي أجتره من قوله تعالى((وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ))(٢) ومرة بذكر صفة(المغفرة) التي قرنت به(عز وجل) والتي استعارها الشاعر من قوله تعالى((وَعَدَ اللهُ الذَّينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالَحِاتِ لهَمُ مَّغْفِرَةٌ وأَجْرٌ عَظِيمٌ))(٣) ولفظتي العبيد والإيماء التي حمل فيهما إشارة بأن رحمة الله ومغفرتهِ وعطفهِ تشمل الضعيف والذي لا يملك من أمرهِ شيءٍ سوى الدعاء والمناجاة والتي استعارهما من قوله تعالى ((مَا يُبَدَّلُ القَولُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعبِيدِ))(٤) وقولهِ تعالى((الأَيَامَى مِنْكُمْ))(٥).

إن الشاعر كان قد أجتر هذه المفردات من مواضع قرآنية متعددة ومزجها مع بعضها البعض لأجل اشعار القارئ بالشعور الذي يريد توصيله له وهو مدى عظمة المغفرة وكذلك قوله (٦):

نال دارَ السلامِ في السعي حتى حلَ دار السـلام أسنى الرحاب

---

(١) ديوان الشيخ جابر الكاظمي(ت١٣١٢م): تحق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، منشورات المكتبة العلمية، ط١، مطبعة المعارف، بغداد– العراق، ١٩٦٤: ٢١.

(٢) سورة يونس:١٠٧.

(٣) سورة المائدة: ٩.

(٤) سورة ق:٢٩.

(٥) سورة النور:٣٢.

(٦) المصدر السابق: ٩٥.

وقولهِ(١):

حسبهم في الحسـاب غرُّ فعال أزهرت فهي ضوءُ يوم الحساب

فالالفاظ القرآنية المستعارة في هذه الموضع واضحة الدلالة وهي (دار السلام، يوم الحساب) اجترها الشاعر من قولهِ تعالى((لَهمُ دارُ السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون))(٢) وقوله تعالى((وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِي وَرَبِكمُ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيْومِ الحِسَابِ))(٣) ففي البيت الأول ضمن الشاعر نظمهِ لهذه المفردة لتعزيز الدلالة عن المكانة التي سوف يحظى بها المؤمنون عند ربهم في الاخرة وهي الاستقرار في دار السلام مأوى المؤمنين عند ربهم، وفي البيت الثاني استعار الشاعر المفردة لرسم صورته الشعرية في رثاء الأمام الحسين(عليه السلام) وحالهم والمكانة التي سوف يحظون بها يوم الحساب.

وكان للمفردة القرآنية حضور واضح يلتمس في قصيدة طويلة قالها الشاعر في مدح الإمامين الجوادين(عليهما السلام) ألقاها بمناسبة فتح بابٍ جديد لحضرتهما ومن قوله فيها(٤):

لقد فتح الإقبال باباً إلى الهدى بهِ قد هدى اللهُ المضلَّ وأرشدا
لجنَّة خلدٍ لا يـزال نعيمُـها مقيماً ورغدُ العيش فيها مخلَّدا
لحضرةِ قدسِ شـرَّف اللهُ تربَها فعاد ثـراها للملائك معبـدا
تحجُّ إليها الناس تقطع سبسباً ومهمـةَ قفـرٍ لايجُـاز وفدفـدا
ملائكة الرحمن إذّ وكّلوا بهـا لزوارها قالوا: أدخلوا الباب سجَّدا

فيلحظ في استحضار الشاعر لهذه المفردات وهي (الهدى، المضل، رشداً، جنة الخلد، رغد العيش، مخلداً، حضرة قدس، الملائكة، تحج، ملائكة الرحمن) كانت قد أسهمت بشكل أو بآخر برسم صورة قدسية المكان الشريف وحرمتهِ ومكانتهِ العظيمة فهي باب هدى يهتدي عبره المضل والمرشد، كما هي قطعة من جنة خلدٍ فرشت فيها موائد النعيم المقيم المخلد شرف الله تربتها وجعلها موضع يحوم به الملائكة ويطوفونه كطوفان الحجيج يوم عرفة، فهو مكان

---

(١) المصدر السابق: ٩٨.

(٢) سورة الانعام:١٢٧.

(٣) سورة غافر: ٢٧.

(٤) المصدر نفسه:١٧٧-١٨٠.

لعظمة قدسيتهِ يصفه الشاعر بجنة الخلد التي لا يسكنها سوى ملائكة الرحمن الذين وكلوا باستقبال زوارها من المؤمنين استقبالاً يشبه استقبالهم ذاك لمؤمنين جنات الخلد في اليوم الموعود.

إن استلهام الشاعر لهذه المفردات وتضمينها لنظمه الشعري ومحاوله استكناه دلالات قد تكون واضحة وضوح المفردة المقتبسة احياناً وقد تكون مضمرة كمعانٍ أكثرها قصد منه استلهام المعنى وإضفاء القدسية واستشعار الروحانية فضلاً عن جذب المتلقي بجرسها وشدة وقعها وعظيم أثرها في نفسهِ ما هو إلا (إشارة تناصية تضمينية تعطي تصوراً عن لغة المبدع ومصادر ثقافتهِ وعمق الاثر القرآني في نفسه)(١) فهذه التعالقات التناصية تكشف للمتلقي عن ذلك بتناص لفظي مباشر (لفظاً ومعنى) يُحيل إلى فخره واعتزازه بثقافتهِ القرآنية.

---

(١) ينظر: إشكالية التناص: مسرحيات سعد الله ونوس أنموذجاً: حسين العمري، دار الكندي للنشر والتوزيع، الاردن، ط١، ٢٠٠٧: ٤٣.

المبحث الثاني

التناص اللفظي غير المباشر

لقد أستثمر الشاعر النص الرباني وتركيبه القرآني وضمنه في بنيةِ نصهِ الشعري ذلك الذي أحتل مساحات واسعة في ديوانه، فلم يكن توظيف الشاعر لهذه التراكيب من محض الصدفة أو عفو الخواطر بل كان تعميقاً فنياً وإثراءً فكرياً نهل من معينهِ جملاً وعبارات كثيرة وظفت لنقل العواطف والاحاسيس والافكار التي حلقت في سماوات مخيلته وأراد أن ينقلها للمتلقي في أدق تعبير وأبهى توظيف ، فيراد بهذا النوع من التناص هو (إضاءة مواضع اقتباس الشاعر للفظ القرآني ثم تحوير تركيبتهِ داخل النص الشعري تقديماً أو تأخيراً، إضافة أو حذفاً، خدمة للمعنى المراد، وتعزيزاً للدلالة العامة)(١) ومثال ذلك قول الشاعر(٢):

وأشتكِ الضرَّ عندَ مَنْ يكشف الـ ضـرَّ علىّ وفه بطول العتابِ
وانـــــع سبط الهدى لديه وقـل يا صفوة اللهِ من ذوي الألباب

فالشطر الأول من البيت الأول يتناص مع قولهِ تعالى((أَمَّن يُجِيبُ المُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكشِفُ السُّوءَ وَيَجعَلُكُم خُلَفَاءَ الأَرضِ آلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ))النمل: ٦٢ والشطر الثاني من البيت الثاني يتناص مع قوله تعالى((إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ))الرعد:١٩ أكتنز بيت الشاهد الشعري الأول دلالات العبد المضطر المحتاج الذي انقطعت به السبل وغلقت إمامه الأبواب فلم يبق غير باب المولى (عز وجل) فراح يشتكي حاجته له ويطلب معونته وسرعة استجابته، إما في البيت الثاني فقد استعار الشاعر الدلالة الضمنية للآية القرآنية الشريفة فأولي الالباب في القران الكريم هم تلكم الاقوام التي خصها العزيز الجليل بالتذكير وأفردهم بالاعتبار وخصهم برفع الاقدار وشرفهم بأن جعلهم أولي الألباب وهي العقول وغيرها من الصفات التي إنمازوا بها هذه الصفات التي تكتنزها العبارة قدم الشاعر عليها جملة (صفوة الله) مما يعني أن كل تلك الدلالات المكتنزة والتراكيب المجترة المقتبسة إنما امتصها الشاعر من مواضعها الأصلية القرآنية ورتبها في مواضع شعرية جديدة لاجل إظهار ممدوحه بأبهى حلة وتقديم

---

(١) ينظر: التناص في الشعر العربي الحديث(البرغوثي إنموذجاً): حصة البادي، دار كنوز المعرفة، ط١، عمان، ٢٠٠٩: ٣٨.

(٢) ديوان الشيخ جابر الكاظمي: تحقيق: محمد حسن آل ياسين: ٩٩.

شخصه بأحلى طلة وبيان عظم مكانته عند المولى القدير فهو لم يكتفِ بإظهار محاسن ممدوحه بقولهِ (سبط النبي) ولا بقولهِ (صفوة الله) بل جعله (صفوة الله من ذوي الالباب) أي صفوة الخلق الذين اصطفاهم الله (عز وجل) على عباده ،كل ذلك عرضه الشاعر بهيئة دلالية مكتنزة للمعاني مضمرة لبنى عميقة وعلاقات تناصية متشابكة تقف على أسس ثابتة رصينة ضمنها الشاعر جابر الكاظمي لبنية نصه الشعري لينتج عبرها نص شعري يصور عظم مكانة ممدوحه وعظم فاجعة فقده وشدة اللوعة من فقدانه.

بالتالي استطاع الشاعر في موضع بنائه الشعري هذا من امتصاص معاني التراكيب القرآنية هذه واجترارها من سياقاتها الإعجازية مع الاحتفاظ بصفتها القدسية وأثارها العميقة في نفس المتلقي ليخرجها بصورة جديدة ومعنى مستجد يبتغي منه أعلاء شأن ممدوحه وتقديم درس تربوي أو بالاحرى وصية حكيمة لمن تعسرت عليه السبل وغلقت أبواب الدنيا عليه اللجوء إلى من لا تغلق أبوابه والتوسل إليه بصفوة خلقه ممن عظم شأنهم لديه في الدنيا والاخرة.

وتتعدد صور التناص في قصيدة أخرى للشاعر الكاظمي يكتنز فيها صور الحج والسعي مع الحجيج يقول(١):

قد حججنا بيتاً هو البيت أضحى ويه حجُّ آمل الفضل صحّـا
فوجدنا عســر الرغائب يســراً ورأينا حرب النوائب صلحا
أنّــه البيت والـــذي لحمـــاه كلُّ ساعٍ سعى ولبّى وضحّى
كــم سعينا فيه وفـي كـل آنٍ قد رأينا لله عفواً وصفحــا
وسعينـا مـا مسنا مـن لغـوبٍ إذ سعينا له ولم نرَ برحــا

فقول الشاعر هذا يتناص مع قوله تعالى((يَأتُوكَ رِجَالاً وعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأتِينَ مِن كُلِّ فَجٍ عَمِيق))(٢) وقوله تعالى((إنَّ مَعَ العُسرِ يُسْراً))(٣) وقوله تعالى((ولَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُّغُوبٍ))(٤) فقد استدعى الشاعر في هذا

---

(١) المصدر السابق:١٤٧.

(٢) سورة الحج:٢٧.

(٣) سورة الانشراح: ٦.

(٤) سورة ق: ٣٨.

الموضع معاني الآيات في نصه الشعري، إذ لجأ إلى محاورة النصوص القرآنية السالفة الذكر مستثمراً المدلول العام للآيات القرآنية واضعاً إياها في سياق جديد يخدم غرضه الشعري فجاءت الصورة الشعرية مع التناص أبلغ أثراً في التعبير، فالدلالة المتجلية خلف هذا التناص تتمثل في ابراز صورة الحج في الآيات القرآنية ذلك الذي تكمن غايته في التماس المغفرة والرحمة من الله عز وجل(١).

إن التوظيف اللفظي غير المباشر لألفاظ وتراكيب القرآن الكريم في ديوان الشاعر الكاظمي كان قد أضفى وبصورة غير مباشرة على الالفاظ المتناصة صفة دقة التعبير والقدرة الكبيرة على إمكانية ابراز القيم الشعورية والإيحائية الكامنة في مضمراتها، الأمر الذي نلحظه في أكثر من موضع وفي أكثر من قصيدة يقول الشيخ جابر الكاظمي(٢):

في إمامٍ منهمْ يقوم بقومٍ فيهمُ العاديات تضْبحُ ضْبحا

وفي هذا البيت تناص اقتباسي من قوله تعالى ((والعَادِياتِ ضَبحَاً))(٣) فالشاعر في هذا الموضع يجتر الآية القرآنية الكريمة مستوحياً اللفظ القرآني منها مع شيء من التحوير اللغوي لينسجم مع النص الشعري، فوظفه بطريقة فنية تلائم الغرض والدلالة العامة لقصيدتهِ بأكملها فهو يستعير صفات العاديات الضابحة - أي الجارية المسرعة- للحجيج الذين يسرعون في جريهم وطوافهم حول الكعبة مسرعين .

---

(١) ينظر: تجليات التناص القرآني في شعر مسار رياض(المجموعة الشعرية ١٧٠٠ أنموذجا): فاطمة حسين كرنوت، مجلة ابحاث البصرة للعلوم الإنسانية، ع٣،م ٤٧، ٢٠٢٢: ٦٦٤.

(٢) ديوان الشيخ جابر الكاظمي: تحقيق: محمد حسن آل ياسين: ١٤٨.

(٣) سورة العاديات: ١.

المبحث الثالث

التناص مع القصص والشخصيات القرآنية

استدعى الشعراء القصص القرآنية في اشعارهم قديماً وحديثاً؛ لأن فيها معيناً ثراً يغرفون منه ما يُغني أشعارهم ويضاعف قيمتها الفنية والأدبية، فالقصة القرآنية عُدّت ((من أساسيات الخلق الشعري، فهي تشكيل جمالي ونفسي يتكون مما التقطته حواس الشاعر المبدع من مدركات حسية أو معنوية، حسب طبيعة تأثره بها حتى يمكن أن نطل منها على الباعث النفسي المتواري خلف ألفاظ القصيدة وما تركته التجارب والمشاهد التي رافقت حياة الشاعر من آثار عميقة الغور في وجدانهِ، فتتدفق إحساساتهِ بصياغات جمالية محسوسة ومشحونة بعاطفة تستجيب لها نفس المتلقي))(١) ولا سيما إذا علمنا أن للقصص تأثيراً نفسياً عظيماً لا ينجو منه القارئ، إذا لا يمكن تجاوز ذلك الحضور الإلهي المهيب، الذي يملأ جنبات النفس رغبة ورهبة ويثير فيها انفعالات عاطفية تسمو بالروح وتحرك الوجدان، ومن الواضح أن دخول النص الشعري بعلاقة مع القصة القرآنية، يمنحه طاقة وجدانية ودلالية هائلة، فالشاعر حين يستدعي القصة القرآنية ويحاورها ويتقاطع نصه معها، يثير في نفس المتلقي الرغبة في استحضار القصة القرآنية (الغائبة) داخل النص الشعري (الحاضر) لينتج دلالة نصية جديدة، فالشاعر لا يعمد إلى القصة القرآنية من أجل إعادة سردها، إنما لإستثمار قدراتها الإيحائية للتقرير المباشر للأفكار والعواطف، ويتجه نحو خلق قصة جديدة ويفجر إمكانيات تعبيرية جديدة تعمل على منح نصه الغنى والإثراء(٢).

وظف الشيخ جابر الكاظمي (رحمه الله) في نصوصه الشعرية عدداً من القصص والشخصيات القرآنية، فأختار أكثرها تأثيراً واسهاماً في إثراء بنية النص، فأستلهم رموز القصص وثيماتها، مستثمراً ذلك في خلق رموز جديدة تضفي على نصه الشعري قوة الاقناع والتأثير في المتلقي، غير أن استدعاءه للشخصيات القرآنية التي تشكل محوراً رئيساً في نصه الشعري يوظفه عادة لبناء نص ذي رؤية تعتمد على الافصاح عن إشكال معين ويبيح لنفسه

---

(١) ينظر: التناص القرآني في شعر الجواهري: د. حسام حمد جلاب، مجلة دواة، الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، العراق،٢٠١٤: ١٥٧.

(٢) ينظر: أثر القصة القرآنية في الشعر العربي الحديث: حسن مطالب المجالي، اطروحة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الاردني، ٢٠٠٩: ٣٤-٣٥.

التحكم في بعض تفوهاتها وجزئياتها لتكون وظيفته هي (استعارة الشخصيات القصصية وإضفاء شيء من الفعل التخييلي عليها الذي يتيح له الانتقال من دلالتها السياقية التاريخية الثابتة إلى الدلالة المتحركة الداخلة في فضاء الأدب بمرجعياته المختلفة التي تهدف إلى تسويغ المسموع و المقروء لغرض الاحتكام إلى دلالاته وجمالياته)[١] ومن أمثلة ذلك استدعاء الشاعر قصة عذاب الله لقوم لوط جزاءً لما كانوا يفعلونه من سوء وعدم طاعة الله يقول[٢]:

يا سماء امطري عذاباً لحــربٍ واردفيهـــم من بعده بعذابِ
وأرجميهم بنار شهبك رجمـــاً واحبسي عنهم نطاف السحابِ
قد توارت شمس الهدى فتوارت هــذه الشمس بعدها بحجابِ

وهذه الابيات تتناص مع قوله تعالى ((فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ))[٣] فالشاعر في هذا الموضع يمتص المعنى من سياقاته التي ورد فيها في النص المقدس ويضمنه لبنى نصه الشعري مما يمثل استثماراً جزئي للقصة القرآنية بما يتعلق بسخط الله(سبحانه وتعالى) على قوم لوط وشدة عقوبته لهم عندما أمر جبريل(عليه السلام) بقلب القرية - قرية قوم لوط - رأساً على عقب وأمطرت السماء عليهم حجارة من سجيل ففي هذا الموضع كان اللفظ القرآني حاضراً وماثلاً في النص الشعري الذي يرتكز على رسم صورة مركزية ربط فيها الشاعر بين القصة القرآنية وشدة اللوعة لما حل بحفيد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) مما يجعل الشاعر يدعو الله أن ينزل على قاتليه عذاب كعذاب قوم لوط .

---

(١) ينظر: التناص مع القصص القرآني في شعر أديب كمال الدين: د. فاضل عبود التميمي ود. نجلاء احمد حاجي، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، بغداد-العراق،٢٠٢١ : ٢٧.

(٢) ديوان الشيخ جابر الكاظمي: تحق: محمد حسين آل ياسين:٩٩.

(٣) سورة هود: ٨٢.

الخاتمة

عد الشاعر جابر الكاظمي النص القرآني المقدس أحد الينابيع المهمة التي نهل منها ما يغني تجربته الشعرية ويناسبها موظفاً كل ما يساعده في تعضيد صورتها وتعميق أثرها في نفس المتلقي ومخيلته، فقد كان القرآن الكريم ماثلاً في نصوصه الشعرية وحاضراً في صياغتهِ اللفظية وفي معانيه إذ أتخذه وسيلة مهمة في تقديم رؤياه الشعرية في أطر رمزية تحيل إلى تراث الشاعر وعمق ثقافته.

تنوعت آليات توظيف الشاعر للنص القرآني بين الاجترار والامتصاص تارة والمحاورة تارة آخرى، ومن مظاهر ذلك التوظيف استعمال الشاعر لجملة من الالفاظ القرآنية بلفظها ومعناها مرة وهذا ما سمي بـ(التناص اللفظي المباشر) وبلفظها دون معناها مع اجراء تحوير لغوي في تركيبة الألفاظ خدمة لنصه الشعري من جهة ورغبة منه في الخروج من دائرة الرتابة في الاستعمال والتوظيف اللغوي من جهة اخرى وهذا ما سمي بـ (التناص اللفظي غير المباشر) كما عمل الشاعر على تضمين بنى قصائده للقصص والشخصيات القرآنية فاستلهم رموزاً جديدة تضفي على نصه الشعري قوة الاقناع والتأثير في ذات المتلقي.

ثبت المصادر

- أثر القرآن في الشعر الفلسطيني الحديث: جمال فلاح النوافعة، اطروحة دكتوراه، اشراف: سامح الرواشدة، جامعة مؤتة،٢٠٠٨.
- أثر القرآن في الشعر الجزائري: محمد ناصر بوحجام، المطبعة العربية، ط١، المغرب، ١٩٩٢.
- أثر القصة القرآنية في الشعر العربي الحديث: حسن مطالب المجالي، اطروحة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الاردني، ٢٠٠٩.
- انفتاح النص الروائي: النص والسياق: سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠١.
- إشكالية التناص: مسرحيات سعد الله ونوس أنموذجاً: حسين العمري، دار الكندي للنشر والتوزيع، الاردن، ط١، ٢٠٠٧.
- بنية النص الكبرى: صبحي الطعان، مجلة عالم الفكر، ع١-٢، الكويت،١٩٩٤.
- تجليات التناص القرآني في شعر مسار رياض(المجموعة الشعرية ١٧٠٠ أنموذجا): فاطمة حسين كرنوت، مجلة ابحاث البصرة للعلوم الإنسانية، ع٣،م ٤٧، ٢٠٢٢.
- التناص القرآني في شعر الجواهري: د. حسام حمد جلاب، مجلة دواة، الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، العراق،٢٠١٤.
- التناص مع القصص القرآني في شعر أديب كمال الدين: د. فاضل عبود التميمي ود. نجلاء احمد حاجي، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، بغداد- العراق،٢٠٢١ .
- التناص في الشعر العربي الحديث(البرغوثي إنموذجاً): حصة البادي، دار كنوز المعرفة، ط١، عمان، ٢٠٠٩.
- التناص مع القرآن الكريم في الشعر العربي المعاصر: عزة محمد جدوع، مجلة فكر وإبداع، ع١٣، ٢٠٠٢.
- ديوان الشيخ جابر الكاظمي(ت١٣١٢م): تحق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، منشورات المكتبة العلمية، ط١، مطبعة المعارف، بغداد- العراق، ١٩٦٤.
- علم لغة النص النظرية والتطبيق: عزة الشبل، تقديم وتحقيق: سليمان العطار، مكتبة الآداب، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٩.